

مقدمة الطبيعة الثانية

الحمد لله الذي سهل طريق العبادة، ورفع عن الأمر الآصار والأغلال كما أراده، وأكمل لنا الدين وأغنانا به عن النقص والزيادة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أعظم بها من شهادة، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله - صلى الله عليه وسلم - وعلى الله وصحابه، الذين جاهدوا في الحق حق جهاده. وبعد: فإن عقيدة أهل السنة والجماعة إباحة المسح على الخفين، لما في ذلك من التيسير على العباد، والوقاية من أضرار البرد الشديد. وقد انقسم الناس فيه إلى ثلاثة أقسام: الأولى: أنكروه وضللوها من فعله، وهم طوائف كثيرة، سيمتهم البعد عن السنة، فحكم السلف عليهم بالابتداع وإنكار السنة المتواترة التي هي من محسن الدين. والقسم الثاني: تساهلوا في ذلك وخرجوا عن الحد المحدود، فأحقوا بالخفاف لفائق وخرقاً وجوارب شفافة وأخذية غير ساترة، ومسحوها على ما يسمى بالشراب، ولو كان مخرقاً ورفيقاً لا يحصل به الستر ولا الوقاية من شدة البرد ونحوه، فوقعوا فيما يبطل طهارتهم عند الجمهور وما لا يجوز المسح عليه عند جميع الأئمة. والقسم الثالث: توسيطوا واتبعوا ما جاء به الدليل. ولما ظهر إنكار الرافضة والإياصية في هذا الزمان على من يمسح على الخفاف ونحوها رد عليهم أهل السنة وأوضحوا كل ما أشكل أمره، وبينوا الأدلة على ذلك، ولكن لما كثر بيننا الذين تساهلوا في المسح على الجوارب ولو شفافاً أو مخرقاً استلزم ذلك البحث عن حكمه، وقد اتضح لنا أن جواز المسح على الجوارب خاص بالإمام أحمد وأن غيره اشترط كونه صفيقاً تحصل به التدفئة، وكونه يثبت بنفسه، وكان المعروف وحده، وأن لا يخرقه الماء، وأن الإمام أحمد اشترط كونه صفيقاً تحصل به التدفئة، وكونه يثبت بنفسه، وكان المعروف إمكان المشي فيه وحده، وعدم الخرق فيه. وقد اتضح أن المسح عليه مع عدم الشروط لا يرفع الحدث، وقد أخذ بعض المشايخ بالرخصة في المسح على الخف المخرق، كما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية وجهواً أن كلام شيخ الإسلام في الخفين لا في الجوارب، وأن الجوارب في عهده كانت صفيقة وفي أسفلها رقعة من جلد، وأن هذا الشراب لباس جديد مثل الفانيلة والكنادر والشبابيك والتليك ونحوها من المسميات الجديدة. وقد كتبت في المسح هذه الأوجبة وبحثت في السؤال الخامس عن الجوارب، وذكرت مختصر كلام الفقهاء فيها، وتكلمت في السؤال التاسع والثلاثين عن الخف المخرق، وعن الفرق بينه وبين الشراب. وقد طبع هذا الكتاب لأول مرة بإشراف الشيخ الدكتور طارق بن محمد الخوبيطر وهو هو الآن يعاد طبعه بعد تصحيح وإضافة: رجاء أن ينفع الله به من أراد به خيراً، ونسأله أن يوفق المسلمين لتطبيق الشريعة والعمل بتعاليم الإسلام، وأن ينصر دينه، وبعلی كلمته، ويصلح أحوال المسلمين في كل مكان، والله أعلم، وصلى الله على محمد وآلـه وصحابـه وسلم. عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين